العرب
الخميس 2021/05/06
السنة 43 العدد 12052

العرب يقبلون على الكتب المترجمة.. هل هي عقدة الخواجة؟

الأدب العربي بعيد عن أعين المترجمين والقراء في الغرب

ترجمة الأدب تحكمها الذائقة والسوق (لوحة للفنان بطرس المعري)

تشهد الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية تطوّرا ملحوظا رغم ضعف بعض النصوص المترجمة لعيب أصلي سببه الكاتب أو مستجدّ سببه رداءة الترجمة. ولكن في المقابل لا تلقى الآداب العربية الاستقبال نفسه من جهة ترجمتها أو قراءتها وانتشارها. فهل ثمة خلل في تركيبة العقل العربي يجعله يقبل بشراهة على الأعمال المترجمة؟ وهل يعتور أدبنا ضعف يصدّ الأجانب عن الإقبال عليه ترجمة وقراءة؟

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

تشهد الساحة العربية اهتماما متزايدا بالترجمة، ترجمة الأعمال الأجنبية إلى العربية، حتى أن بعض الدور تكاد تتخصص في نشرها، والسبب إقبال القارئ العربي على الكتب الأجنبية، وخاصة الرواية. وهذا ليس بجديد، فبفضل المترجمين اكتشف العرب أعمال مشاهير الكتاب في الغرب، لاسيما أولئك الذين لا يتقنون لغة أجنبية، أو يتقنون منها واحدة، ويجهلون أخرى، كالإنجليزية في بلاد المغرب العربي، والفرنسية في بلاد المشرق، بصفة عامة، لأن الاستثناءات موجودة في الفضاءين.

> تجاهل ترجمة الأدب العربي ليس مردّه إلى ضعف يشوب هذا الأدب، فالمسألة اختيار يخضع لشروط السوق أولا

لولا سامي الدروبي ما عرف العرب روائع الأدب الروسي، وخاصة روايات تولستوي ودستويفسكي؛ ولولا خالد الجبيلي ما عرفوا "مزرعة الحيوان" لجورج أورويل، و"لوليتا" لفلاديمير نابوكوف، و"ألكسيس زوربا" لنيكوس كازانتزاكيس؛ ولولا صالح علماني ومحمد علي اليوسفي ما عرفوا بورخس وخوان رولفو وماركيز وميغيل أستورياس وأليخو كاربنتيي وسواهم من كبار كتاب أميركا اللاتينية.

عقدة الخواجة

يعزى هذا الإقبال إلى أن الكتب المترجمة هي في الغالب زبدة ما أنتجه أدباء الغرب ومفكروه، ومن النادر أن يكون الأثر المترجم غير ذي قيمة، ولكن الخلل الذي يعتري تلك الأعمال مردّه إلى سوء الترجمة، أو عدم التزام صاحبها الأمانة في نقل نص من لغة إلى لغة. خاصة في هذه المرحلة التي تزايدت فيها الكتب المترجمة دون أن تستوفي جميعها تلك الشروط.

فالملاحظ اليوم أن ما يترجم ليس كله جديرا بأن ينقل إلى لغة الضاد، وأن بعض المترجمين لا يتقنون إتقانا جيّدا اللغة المصدر أو اللغة الهدف، فإما أن يأتي النص المنقول في لغة سليمة، ولكنه يجانب المضمون، فيقفز المترجم على كل ما يستعصي عليه، أو أن إلمامه باللغة العربية وقواعدها وضوابطها ليس في مستوى إلمامه بلغة الآخر، فلا يفهم القارئ النصّ المعرّب إلا إذا عاد إلى الأصل.

ورغم ذلك، لا يزال الإقبال على أشدّه، حتى على الكتب التي أثبت أهل الاختصاص هلهلة صيغتها العربية، واحتواءها على أخطاء تخالف المعنى الذي قصده واضعوها.

وقد فسّر بعضهم ذلك بـ"عقدة الخواجة"، كما يقول إخوتنا في مصر، أي شعور العربي بأن ما يأتي من الغرب جيّد كله، بلا استثناء؛ بينما فسّره آخرون برغبة القارئ العربي في الاطّلاع على ما يجدّ في الساحة الغربية من جهة الفكر والفلسفة والعلوم الإنسانية بعامة، واكتشاف أعمال سردية تشبع نهمه إلى التجارب المتميزة، وتعرّفه بواقع مجتمعات بعيدة عنه، غريبة في عاداتها وتقاليدها، أو تلبي حاجته إلى الارتحال، ولو عبر نصوص متخيلة، إلى عوالم أخرى، فليس أفضل من الرواية لولوج أعماق المجتمعات والإمساك بمعيشها اليومي المعقّد.

وقد تكون السوق، وقانون العرض والطلب، هي التي زادت في تضخيم هذا الظاهرة وشجّعت الناشرين، أو بعضهم على الأقل، على طباعة الكتب المترجمة، أيّا ما يكن مستواها. ولكن ثمّة من يذهب أبعد من ذلك، ويفسّر ميل شرائح واسعة من القراء العرب إلى الكتب الأجنبية بضعف ما ينتجه الشعراء والروائيون العرب عموما، دليله على ذلك عدم إقبال دور النشر الغربية على ترجمة آدابنا على الأقل (باعتبار أن فكرنا الحديث مستورد في معظمه)، وهذا الموقف ينمّ عن جهل تامّ بعملية ترجمة المؤلفات العربية إلى اللغات الأخرى.

فالغرب، كما يقول ريشار جاكموند أستاذ اللغة والآداب العربية في جامعة بروفانس، لا يزال يتعامل مع آداب الأمم الأخرى بمنطق العلاقة شمال – جنوب، باستثناء الناطقين باللغتين الإسبانية والبرتغالية، أي وفرة في الصادرات من جهة، تقابلها ضآلة في الواردات من جهة أخرى. وفي فرنسا مثلا، لا يتعدى مجمل ما يترجم من الآداب الأجنبية 6 في المئة، يبلغ نصيب المؤلفات العربية منها 6.0 في المئة، تستوي في ذلك مع بقية اللغات التي توصف بـ"النادرة" شأن لغات الهند وباكستان.

تجاهل الأدب العربي

الملاحظ أن قلة قليلة من الناشرين الفرنسيين يهتمون بالأدب الناطق بالعربية، وباستثناء أكت سود التي تنشر بمعدل أربعة أو خمسة عناوين مترجمة من العربية ضمن سلسلة سندباد، لا توجد سوى دار سوي التي وضعت سلسلة هي أيضا بعنوان "إطار أخضر" تنشر بين الحين والحين روايتين أو ثلاثا، بينما لا تنشر غاليمار سوى كتاب واحد في السنة، وكذلك دار جان كلود لاتيس، رغم أنها نشرت ثلاثية محفوظ عقب فوزه بنوبل.

أي أن ما يترجم من الأدب العربي في فرنسا لا يتجاوز سنويا عشرة عناوين. ونادرا ما تقابل تلك العناوين المنشورة بقبول حسن، فالقراء الفرنسيون لا يتابعون مسيرة كاتب بقدر ما يهتمّون بما يخرج عن المألوف، حتى وإن كان صاحبه خارج الأسماء المعروفة في الوطن العربي، شأن علاء الدين الأسواني وخالد الخميسي اللذين تفوّقا من حيث عدد النسخ المبيعة على أسماء لامعة عندنا مثل صنع الله إبراهيم وإلياس خوري وجمال الغيطاني، ما يجعل ترجمة أعمال عربية إلى اللغة الفرنسية غير مربحة.

ثمّ إن أغلب الناشرين الفرنسيين لا يعرفون عن الأدب العربي سوى ما يكتب بالفرنسية، ولو سألت أي واحد من مديري النشر أو ما يطلق عليه "المحرر الأدبي" عن الكتّاب العرب لبادر بذكر الطاهر بن جلون وياسمينة خضراء وبوعلام صنصال وليلى سليماني، فضلا عن الراحلين أمثال محمد ديب ورشيد ميموني وإدريس الشرايبي وألبير ممي ومصطفى التليلي.

كذا محركات البحث، فما أن تكتب "كتّاب عرب" حتى تأتي هذه القائمة الفرنكوفونية. وهذا كله يعني أن تجاهل الأدب الناطق بلسان عربي ليس مردّه إلى ضعف يشوب هذا الأدب، فالمسألة اختيار يخضع لشروط السوق أولا، ولنسبة ما يمكن ترجمته ثانيا، ولذائقة القارئ الفرنسي ثالثا، فما يروقنا لا يعجبه بالضرورة، حتى وإن كان العمل مكتملا فنّيّا، ثمّ إنّ من يروم الإحاطة بواقع مجتمعاتنا، يختار الطريق الأسهل، أي أن يقرأ للعرب في لغته هو.

«فليبكِكِ دجلة».. قصة عاشقة عراقية تتوج بجائزة غونكور للرواية الأولى

باريس – أعلن أخيرا في باريس عن المتوجين بجائزة غونكور للرواية الأولى والقصة القصيرة والسيرة الذاتية والشعر، وجاء ذلك في اجتماع عبر الفيديو نظرا إلى الظروف الصحية التي حتمها انتشار فايروس كورونا.

ومُنحت جائزة غونكور للرواية الأولى الثلاثاء للصحافية إميليين مالفاتو عن قصتها المؤلمة عن شابة عراقية "كو سور توا سو لامانت لو تيغر" ("فليبكِكِ دجلة") الصادرة عن دار إيليزاد التونسية للنشر في سبتمبر الماضي.

وتروي مالفاتو، التي تعرف العراق جيدا، في 80 صفحة المحنة التي أصابت شابة على ضفاف نهر دجلة في ريف العراق، حيث تتجاوز الفتاة كل المحظورات الاجتماعية والدينية التي تتحكم بحياة الناس، وتعيش قصة حب رومانسية وتقيم علاقة مع حبيبها خارج إطار الزواج، وتكون نتيجة العلاقة حمل الفتاة التي تعيش مصيرا محتوما في بيئة تحكمها العادات البالية، فيما يغادر حبيبها للقتال مع الميليشيات ما يؤدي إلى موته تحت القصف.

القصة تمزج بين الرومانسية ومأساوية المصير الذي تحدده الأعراف الذكورية والصراعات الدامية، وهي مستوحاة من الحقائق المعقدة للعراق بكل ما فيه من حروب وتقاتل خاصة ما بعد الغزو الأميركي، ظروف متشابكة تعرفها مالفاتو جيّدا من خلال عملها مع وكالات أنباء عديدة حول العراق، لذا تغمر قارئها في ثنايا مجتمع مغلق ببراعة، مجتمع تحكمه سلطة الرجل وقانون الشرف، وذلك عبر أسلوب سردي مشوق ومكثف، تتسارع أحداثه عبر الجمل القصيرة، التي تخلق إيقاعا يشق الأنفس.

ومنحت لجنة التحكيم جائزة غونكور للقصص القصيرة للإسرائيلي الناطق بالفرنسية شموئيل تي ماير عن "إي لا غير إيه فيني..." ("الحرب انتهت") الصادر عن دار "متروبوليس" في جنيف. ووصف الناشر القصة الفائزة بأنها "فسيفساء تصوّر نساءً ورجالاً يواجهون التاريخ وعجزهم عن معارضته"، و"تعطي لمحة عن الحروب الداخلية والسرية التي تعقب الحروب" العسكرية.

> الجائزة تمنح لأربعة أنواع أدبية هي الرواية والقصة والسيرة الذاتية والشعر وقد عرفت تتويج كتاب من أجيال مختلفة

أما جائزة غونكور للسيرة فأعطيت لبولين دريفوس عن عمله "بول موران" (دار "غاليمار"). ومن خلاله يمكننا استكشاف حياة المسافر الذي لا تحدّه حدود.

وفاز بجائزة "غونكور" للشعر جاك روبو (88 عاما) عن مجمل أعماله، حيث رأت اللجنة أن قصائده تثير الانتباه إلى شاعر يحب أن يلعب بالقيود لتجميع عناصر قصيدته التي تميزها الدعابة والخيال.

الشعر ليس القصيدة فحسب بل طريق لتشييد نص سردي مختلف

الرباط – ينطلق الناقد المغربي محمد أدادا في كتابه الجديد بعنوان "المكون الشعري في السرد الأدبي" من مسلمة مفادها وجود عنصر مشترك يوحّد بين جميع أنماط الإبداع الأدبي، وكون الشعري مقوما يشكل "لا شعورا"، تتضمنه كل الآداب بمختلف أشكالها وأنواعها.

وينطلق هذا الافتراض من أن "للشعري في الأدب قيمة وأهمية، إذ يسري كالنسغ في مختلف النصوص والخطابات، في اللغة والأخيلة، في المباني والمعاني، بل هو الفاصل في أمر "أدبية" النص، وهو السر في خلود بعض الإبداعات الأدبية".

وبما أن الشعري لا يقتصر وجوده في النوع المعروف بالشعر، فإن الدراسة حاولت إبراز العلاقة الوطيدة بينه وبين الإبداع الأدبي عامة، والكتابات السردية الجديدة، خاصة تلك التي تحاول أن تسطر لنفسها مسارا جديدا بالانزياح عن القيم والمبادئ الكلاسيكية في الكتابة، بحيث وجدت في مجال الشعر حقلا مفيدا لتشييد نص جديد يوظف تقنيات الشعر وآلياته.

وسجل أدادا أنه على الرغم من التطور الذي عرفته التجربة الإبداعية الروائية الجديدة، والذي يقوم على الاستفادة من التطور الذي عرفه الشعر، فإن الخطاب النقدي المواكب لها بقي أسير البحث في المكونات السردية دون مراعاة للخصوصية الجديدة.

وأشار إلى أن هناك إمكانية لتكوين إطار منهجي يمكن أن يكشف عن مختلف مكامن الشعري في الإبداع السردي، إذا ما تم البحث في ما يؤلف بين هذه التصورات المختلفة، وهو الرهان التي اتخذه لبناء خطة اشتغال منهجي لضبط مواقع الشعري في الكتابة الروائية. وخلص الباحث إلى أن الكتاب يشكل محاولة لمساءلة الدراسات النقدية عما إذا كانت قد أثارت إشكالية الشعري في الإبداع الأدبي السردي، قبل العروج على مختلف مناهج الدراسات الأدبية الحديثة، وخاصة تلك التي نشأت في أحضان الدرس اللساني والدرس السيميوطيقي المعاصر، للبحث فيهما عن الأطر المنهجية والمفاهيم الدقيقة التي يمكن بها تحديد المستويات التي يتمظهر فيها الشعري في الكتابة السردية.

> للشعر في الأدب قيمة وأهمية كبرى إذ يسري كالنسغ في مختلف النصوص والخطابات في اللغة والأخيلة

ويذكر أن الكتاب الذي يقع في حوالي 160 صفحة صدر حديثا عن مؤسسة مقاربات للصناعات الثقافية والنشر بفاس.